الشيشان.. جوهرة القوقاز

تطوي صفحة الحرب وتفتح قلبها للحياة

«الأنباء» أول صحيفة عربية تزيح الغموض عن حاضر وواقع أرض الثورات والثروات

(9 ـ 10)

العاصمة الشيشانية غروزني

أسامة أبوالسعود

كلما ذكرت الشيشان يهفو القلب لرؤية حاضرة المسلمين في اوروبا الشرقية.. كم اعتصرت قلوب العرب والمسلمين وهي ترى مقاصل الشيوعية تبيد كل من يقول «لا إله إلا الله.. محمد رسول الله» فلا صوت لأذان ولا جرس لكنيسة، وكم يتذكر المسلمون الشيشان تلك الليلة من شتاء عام 1944 عندما عبأ ستالين الزعيم الشيوعي الذي ينحدر من يهود جورجيا شعب الشيشان جميعا في القطار وألقى بهم في بحر قزوين لشكوكه في خيانتهم للاتحاد السوفييتي وتعاونهم مع الألمان.

يتذكر المسلمون هنا تلك الحادثة وغيرها بألم شديد لكنهم اليوم يفتحون صفحة جديدة من التاريخ مع روسيا وريثة المجد السوفييتي التي حاولت غسل ذلك التاريخ الدموي الأسود تجاه المسلمين الشيشان وأهل القوقاز، وبالفعل نجح الروس بقيادة بوتين ومن بعده مدفيديف في تجاوز ذلك التاريخ عبر حرية دينية وتسامح غير مسبوق.

في هذه السلسلة الوثائقية التي تنفرد بنشرها «الأنباء» من بلاد الشيشان نستعرض تاريخ تلك البلاد وحاضرها والتغيرات التي طرأت عليها وأسباب حروبها والى أين يريد ان يصل شعبها المفعم بالحيوية والشباب والمتطلع لمستقبل باهر.

قررت ان أبدأ رحلتي في الشيشان بأهل العلم والاعتدال ومن يملكون الحقيقة ولا ينحازون الى طرف دون آخر. بحثت عن رجل متخصص في التاريخ الشيشاني وعن غيره من أهل الشيشان طلبا للحقيقة والتاريخ واستقراء لواقع بلد فرضت عليه كل النظريات وتم استغلاله كحقل تجارب ولم يستمع احد قط لأهله، ماذا يريدون من هذا العالم وما تطلعاتهم لمستقبل يريدونه لبلدهم وأولادهم؟ وأولا واخيرا هل يريدون الاستقلال عن روسيا أم يريدون حياتهم كما هي الآن باعتبارها النموذج الأمثل لحياة يعيشون فيها حكما ذاتيا بقيادة شاب من بلدهم وفي كنف دولة عظمى تكفّر عن أخطاء الماضي وتغتسل من ذنوب الشيوعية المقيتة وتمنحهم كل ما يتطلعون اليه من حرية دينية وانسانية ومادية وقبل ذلك الأمن فربما يفتقدونه اذا فكروا في الاستقلال ليكونوا مطمعا لدول جوارهم.

الشيشانيون ينجبون 6 أضعاف الروس

عادات أهل الشيشان: الرجل في الشيشان «سي السيد» من الطراز الأول وهو مدلل إلى أقصى حد يمكن وصفه

أطفال يلهون أمام نافورة مياه تزدان بها منطقة مسجد قديروف

امرأة شيشانية في نزهة مع أطفالها

الشيشانيون يعشقون الرياضة

لا يجوز أن تتزوج المرأة ابن عمها أو خالتها أو من ذات القرابة ولا توجد امرأة واحدة في الشيشان تزوجت ابن عمها

عادات اهل الشيشان وطبائعهم.. عجائب وغرائب، فربما يظن البعض ان هذه العادات لم تعد موجودة او اختفت من زماننا هذا خاصة مع تطور العصر ودخول الانترنت والتواصل الحضاري والثقافي، حتى المجتمعات التي يغلب عليها الطابع القبلي ربما خفت حدة بعض الطباع.

الشيشان كمجتمع كان يعيش حالة من الانغلاق في العصر السوفييتي على مدى الـ 70 سنة الماضية وهي سنوات الانفتاح الثقافي، وظل محافظا على الكثير من العادات والتقاليد الراسخة والتي يعتبرها اهل الشيشان جزءا منهم لا يجوز التفريط او التهاون فيه.

وفي هذه الحلقة نستعرض اهم عادات اهل الشيشان اليوم وخاصة عادات الزواج والطلاق والمعاملة بين ابناء الاسرة والرجل وزوجته وحتى اهم الوجبات الشعبية في الشيشان الجديد.

ومن اهم عادات اهل الشيشان معاملة المراة لزوجها فالرجل في الشيشان «سي السيد» من الطراز الاول بل من طراز فريد فهو مدلل الى اقصى حد يمكن وصفه، والمرأة الشيشانية مطيعة لزوجها الى اقصى درجة، ورغم ذلك فتعدد الزوجات غير وارد في الشيشان.

زوج مدلل

ولا يجوز للمرأة الشيشانية ان تجلس بجوار زوجها في السيارة في الكرسي الامامي بل تجلس في الخلف ومعها الاطفال ولا يجوز ان يحمل الرجل أي امتعة اشتراها من السوبرماركت او البقالة بل على المرأة ان تحمل هي كل ما تم شراؤه وتسير خلف زوجها ومعها اولادها بمسافة لا تقل عن مترين، فإن كان الرجل قد اشترى اشياء من دون زوجته فعليها ان تهرع الى خارج البيت لتحمل عنه ما قد اشتراه وتدخله هي الى بيتها.

ومن عاداتهم ايضا انه لا يجوز ان تتزوج المرأة ابن عمها او خالتها او من ذات القرابة، ولا توجد امرأة واحدة ـ تقريبا ـ في الشيشان تزوجت ابن عمها ولها ان تتزوج من غير اقربائها ويسمح لها بإبداء رأيها في شريك العمر والموافقة عليه او رفضه.

من عادات الزواج

في الشيشان يعملون بقول النبي ﷺ «أقلهن مهرا أكثرهن بركة» ولذلك فلا يوجد مهر محدد للعروس وفي الشيشان لا يتغالون في المهور فاكبر مهر حوالي 1000 دولار (ما يقارب 300 دينار) ولكن كل شيء على العريس ولا تتحمل المرأة أي شيء من جهاز البيت او الشقة، كما ان العريس لا يحضر عرسه ولا يجلس بجوار عروسه.

ويشتهر الشيشانيون بأنهم كثيري الانجاب وتشير المعدلات الى ان اهل الشيشان ينجبون 6 اضعاف الروس، كما يشتهرون بحب الرياضة وممارستها خاصة الرياضات العنيفة نوعا ما كالمصارعة وغيرها.

الطلاق والفاحشة

وتتراوح اعمار الزواج في الشيشان بالنسبة للبنت 18 سنة والولد 20 فما فوق ولكن مع الاسف فإن الطلاق هو اسهل شيء في المجتمع الشيشاني وحقوق المرأة غير مصانة.

ويتشدد الشيشانيون جدا مع من تثبت عليه الفاحشة ولا يفرقون بين المحصن او غير المحصن من الجنسين «أي المتزوج او غير المتزوج كما فرق القرآن بينهما «فمن يُمسك في وضع فاحش «الزنى» فالمرأة تقتل فورا من أبيها أو أخيها او ابن عمها او عصبها، والرجل قد يخير بين القتل او خيار آخر هو اشد من الموت ذلا ومهانة للرجل بأن يربط بنطاله في عنقه ويضرب ويرمى في مركز المدينة وهو اكبر عيب، والموت اهون منه ولهذا فان عليه ان يهجر مدينته او قريته ليعيش في قرية اخرى يستطيع فيها ان يرفع رأسه بين الرجال.

الثأر والكرامة

والثأر في الشيشان أمر مشدد فيه ولا يمكن التهاون فيه أبدا وينتقل من الاب الى ابنه او اخيه او ابن اخيه او اي عصب في الاسرة تباعا وعار على من لا يأخذ بثأره، حيث يعتبره البعض جبانا ولا يستحق العيش بكرامة الا بعد ان يأخذ بثأره.

الفخر والاحترام

من الامور المقدسة لدى اهل الشيشان احترام الضيف وتقدير الكبير، فأوامر كبير الاسرة مقدسة وكلمته سيف على الرقاب ولا يمكن التدخين امام الرجل الكبير سواء كان المدخن من عائلته او لا، وعلى الزوج ان يقف امام والد زوجته ولا يجوز الجلوس امامه حتى ينتهي من الحديث ويظل الرجل خافض الرأس مبديا كافة فروض الولاء والاحترام والتقدير لحماه.

وعلى أي شيشاني ان يحفظ اسماء 7 من اجداده على الاقل، والشيشانيون يفتخرون بأنسابهم بل ان عيبا كبيرا الا يكون الرجل حافظا لاسماء اجداده ويحفظ بعضهم اسماء اكثر من 15 جدا متواصلا.

كرم بلا منتهى

كرم الضيافة في الشيشان امر يحتاج الى كتب كاملة، فأهل هذا البلد وكثير ممن عرفتهم على مدى ايامي الخمسة كانوا يتعاملون بالطريقة ذاتها من الحفاوة والترحاب للضيف، فيجب ان يستقبل الضيف من على باب البيت ويودع عنده، ويجلس الضيف في صدر البيت وافضله ويقدم له افضل واشهى انواع الطعام.

وواجب الضيافة في الشيشان 3 ايام في أي بيت من بيوت الشيشان وعيب ان يسأل رب البيت ضيفه عن سبب الزيارة قبل ايام الضيافة ولابد ان يقدم للضيف هدية قبل مغادرته البيت الذي حل ضيفا عليه.

ولا يجوز ان يلبس الرجل في الشيشان «تي شيرت» او «شورت» ويسير في الشارع ولكن يجوز ذلك لضيوف الشيشان.

كما انه لايجوز للرجل في حضرة الضيوف ان يجالس اولاده او يداعبهم أو يلاطفهم فهو امر عيب بالنسبة لهم، ولكن يجوز ذلك مع احفاده.

الحليب والعسل والمشوي

تنتشر في الشيشان مزارع الخضرة في كل مكان ويربي الشيشانيون في القرى الابقار والماعز والاغنام بكميات كبيرة، ولهذا فإن الشيشانيين يعشقون الحليب والعسل الطبيعي والقشطة ولحم الغنم المشوي والارز الطاجيكي وهناك الكثير من الاكلات الشهيرة، لكن اجملها واشهاها الارز الطاجيكي بلحم الاغنام المحلية وهي اكلة غنية بالدسم تشبه الى حد بعيد المكبوس والبرياني ولكنها اشهى بكثير.

كما يفضل الشيشانيون لحم الاغنام المشوي من الريش والتكة وغيرها مع القشطة الطبيعية بالخبز المحمص وهي اكلات تشتهر بها المطاعم الشيشانية.

والشاي مشروب اساسي على مدار اليوم وربما يتناوله البعض قبل الطعام واثناء الطعام وبعده ويفضله البعض بالعسل وآخرون بالملح والفلفل اذا كان مع البيتزا الشيشانية الشهيرة في الافطار فقط.

هذا جزء من عادات كثيرة يتمتع بها الشعب الشيشاني منها ما هو محمود ومنها ما قد يعتبره البعض مذموما في زماننا هذا، لكنها في النهاية تبقى عادات للشعوب وهي جزء اصيل من ثقافتها لا تنفصل عنها ولا تنفصل عنه.

أسرة سرخو.. الشيشانيون ينجبون بكثرة

الزميل أسامة أبو السعود وحمزة في ضيافة أسرة سرخو

شيشانيات يقمن بإعداد الطعام في مبنى الإدارة الدينية

أشهى المأكولات الشيشانية

جهاز الزوجية على العريس ولا تتحمل المرأة أي شيء ولا يوجد مهر محدد وأكبر مهر حوالي 1000 دولار والعريس لا يحضر عرسه!

إذا ضبط اثنان في وضع فاحش «الزنى» المرأة تُقتل فوراً والرجل يخير بين القتل أو يربط بنطاله في عنقه ويضرب ويرمى في مركز المدينة

الكنيسة الوحيدة في الشيشان بالقرب من مسجد قديروف

محكمة غروزني في وسط المدينة

غروزني مدينة شابة لا تعرف اليأس